

الفصل السابع

ضرورة الإخلاص لحملة الدعوة

● لماذا كان الإخلاص ضرورة :

إن العمل لسيادة الإسلام وعودته لقيادة الحياة بعقيدته وشريعته وأخلاقه وحضارته ، إنما هو عبادة وقربة إلى الله عزَّ وجلَّ من ناحية ، وجهاد في سبيل الله من ناحية أخرى . وتجريد النية لله في هذه العبادة وذلك الجهاد : أمر أساسى لقبول العمل ولنجاحه معاً ، فالنية المدخولة تُفسد العمل ، وتلوث النفس ، وتضعف الصف ، وتحبط الأجر . والنية الصالحة ، تصلح العمل ، وتقوى العزم ، وتفسح الطريق ، وتعين على إزالة العقبات ، قال تعالى : ﴿ إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ (١) فدلَّ على أهمية الإرادة والنية في إنجاز المهمة المنشودة ، فهي سبب توفيق الله تعالى وتأييده .

وقد كتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز ناصحاً له ، فقال : اعلم أن عون الله تعالى للعبد على قدر النية ، فمن تمت نيته تم عون الله له ، ومن نقصت نيته نقص قدره .

ولهذا السر بدأ الإمام البخارى كتابه « الجامع الصحيح » بهذا الحديث الذى عدّه بعض العلماء ربع الإسلام أو ثلثه : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى .. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » (٢) .

وقد روى أن رجلاً هاجر إلى المدينة من أجل امرأة يحبها ويريد أن يتزوجها تسمى أم قيس فنسب إليها وقيل له « مهاجر أم قيس » (٣) .

(١) النساء : ٣٥

(٢) سبق تخريجه .

(٣) قال ابن مسعود : كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس ، فأبت أن =

إن على المسلم العامل للإسلام أن يفتش في زوايا قلبه عن حقيقة نواياه وبيواعثه ، فإن كان فيها حظ للدنيا أو للشيطان ، جاهد أن ينقى قلبه من دخله ، وأن يجرد نيته لله ، وأن ينذر نفسه محرراً لربه ، كما قالت امرأة عمران : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١) . وهذه الكلمة من أم مريم : ﴿ مُحَرَّرًا ﴾ توحى بأن سُنَّةَ الله ألا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً من كل شركة ، محرراً من كل عبودية لغيره .

إن الحياة لا يسود فيها الحق ، ويُنشر الخير ، وتعلو كلمة الإيمان ، وتتحقق أعلام الفضيلة : بتجار المبادئ ، الذين لا يعملون إلا ليغنموا ويستفيدوا في الدنيا ، ولا بالمرائين الذين لا يعملون إلا ليراهم الناس ، ويسمعوا بهم ، ويتحدثوا عنهم ، ويشيروا إليهم بالبنان ، بل يتنصر الحق والخير والإيمان والفضيلة : بالمخلصين الذين يعتنقون المبادئ مؤثرين مستأثرين مضحين لا مستفيدين ، معطين لا آخذين .



● المخلصون هم جند الدعوات :

إن المخلصين الذين يبتغون بعملهم وجه الله ، يَسْمُونَ فوق المنافع الذاتية والمصالح الشخصية ، هم وحدهم جند الدعوات ، وحملة الرسالات ، وورثة النبوات ، وهم الذين ينتصرون بالدعوة ، وتنتصر بهم ، ولو كانوا فقراء المال ، ضعفاء الجاه ، مغمورين في الناس ، وهم الذين جاء فيهم الحديث الشريف : « رَبُّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٌ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ » (رواه مسلم) .

= تَزَوَّجَهُ حَتَّى يَهَاجِرَ ، فَهَاجَرَ ، فَتَزَوَّجَهَا ، فَكُنَّا نَسْمِيهِ مَهَاجِرَ أَمْ قَيْسٍ . . . قال ابن مسعود : مَنْ هَاجَرَ لَشَيْءٍ فَهُوَ لَهُ ، قَالَ فِي « طَرَحِ الثَّرِيبِ » : رَجَالَهُ ثِقَاتُ (٢٥ / ٢) ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَثْبِتْ أَنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ وَرُودٌ حَدِيثٌ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ . . . » كما قال ابن رجب وابن حجر .

(١) آل عمران : ٣٥

وقد روى النسائي وغيره عن سعد بن أبي وقاص - هو من هو سبقاً في الإسلام وقربة من رسول الله - أنه ظن في نفسه يوماً أن له فضلاً على من دونه من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال النبي ﷺ : « إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها : بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم » (١) .

وهؤلاء الضعفاء المغمورون المخلصون ، هم الذين أمر الله رسوله أن يصبر نفسه معهم ، ولا يفرط في واحد منهم ، ولا تعدو عيناه عنهم ، إلى الشخصيات المرموقة في المجتمع ، من ذوى المكانة والثراء والجاه ، ممن يظن أنهم ينصرون دعوته بجاههم ومنزلتهم في الناس ، يقول سبحانه : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (٢) .

إن جندى العقيدة لا يجرى وراء المطامع ، ولا يخطف بصره بريق الشهرة ، ولا يجذب قلبه سطوة الجاه والنفوذ . . إن الدنيا ليست أكبر همه ولا مبلغ علمه ، إنه ينزلها منزلتها ، فلا تزن عنده جناح بعوضة عند الله تعالى ، إن أكبر همه أن يتقبله الله في عباده الصالحين ، وجنده الصادقين ، وحزبه المفلحين . .

إن وضوح هذا الهدف أمر ضروري للعاملين لنصرة الإسلام ، فقد يكون هدفهم إقامة دولة إسلامية ، أو حضارة إسلامية ، أو مجتمع إسلامي ، أو نحو ذلك من الأهداف التي يسعون إليها ، ويحرصون على تحقيقها ، ولكن هدف الأهداف ، وغاية الغايات من وراء ذلك كله ، هو : رضوان الله عز وجل

(١) رواه النسائي عن سعد ، كما في صحيح الجامع الصغير (٢٣٨٨) .

(٢) الكهف : ٢٨

وابتغاء ما عنده ، ومن أجل ذلك يستمرئون المر ، ويسترخصون كل تضحية
ما دامت في سبيل الله .



● خطر الطفيليين :

وعلى رجال الدعوات أن يحذروا على صفوفهم من الطفيليين الطامحين الطامعين ،
الذين يتسللون إلى الجماعات المؤمنة تسلل الميكروبات إلى الجسم السليم ،
ويتسلقون على أكتاف الآخرين ، كلامهم كثير ، وعملهم قليل ، يقلون عند الفزع ،
ويكثرون عند الطمع ، حتى تكشفهم المحن ، ويميز الله الخبيث من الطيب .

أجل . . إن شر ما تصاب به الدعوات الربانية ، هم أولئك المحتالون ،
الذين يتخذونها قنطرة إلى مآربهم ، وسلماً إلى مطامعهم ، متظاهرين بالتقوى ،
متوسلين بالقول المعسول ، والحماس المقتعل ، والملمس الناعم ، وباطنهم
خراب ، وقلوبهم هواء ! هؤلاء هم الذين حذر منهم رسول الله ﷺ حين
قال : « يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين ، يلبسون للناس
جلود الضأن من اللين ، ألسنتهم أحلى من السكر ، وقلوبهم قلوب الذئاب ،
يقول الله عز وجل : « أبي يغترون أم على يجترئون ؟ . . في حلفت : لأبعثن
على أولئك منهم فتنة تدع الحليم منهم حيراناً » (١) .



● صنفان متميزان :

ولقد قسم النبي ﷺ الناس إلى صنفين متميزين متباينين : صنف يعيش
لنفسه وشهواته ، عبداً للمال والزينة والأبهة ، يسير وراء مصلحته وشهوته أنى
سارت ، فإن تحققت رضى وأثنى ، وإلا ذمَّ وسخط .

(١) رواه الترمذى عن أبى هريرة فى أبواب الزهد (٢٤٠٦) وفى سنده يحيى بن عبد الله
ابن موهب تكلم فيه شعبة ، وذكر الترمذى فى الباب شاهداً له من حديث ابن عمر
(٢٤٠٧) وقال : حسن صحيح غريب .

وصنف يعيش للحق وحده ، مستعداً للجهاد والبذل ، غير منتظر منفعة ولا شهرة ، حيث وُضِع ، عمل وأنتج ، دون ضجيج ولا مباهاة .

فى هذين الصنفين جاء الحديث الصحيح : « تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة ، إن أُعْطِيَ رضى ، وإن لم يُعْطِ سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ! طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة ، وإن كان فى الساقة كان فى الساقة . . إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يُشَفَّع » (١) .



(١) رواه البخارى عن أبى هريرة .